اللبنانيون والأفعال... والأوهام

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في حال سارت الأمور على ما يرام، سيباشر لبنان استخراج النفط والغاز من آبار في مياهه الإقليمية بحلول السنة 2029. من الآن إلى حلول 2029، ومعرفة ما إذا كان البلد سيبقى على رجليه، يريد اللبنانيون العاديون سماع شيء آخر غير الخطب ذات الطابع الفولكلوري التي لا تقدّم ولا تؤخر بمقدار ما تكشف ضحالة ليس بعدها ضحالة. تكشف مثل هذه الخطب التي تعتبر اللبنانيين أغبياء، أي في مستوى المنتمين إلى التيّار العوني، غياب أيّ وعي سياسي أو فهم في الحدّ الأدنى لقواعد الاقتصاد وما يدور في المنطقة والعالم.

لا مخرج للبنان من حال الانهيار في غياب الحدّ الأدنى من المنطق. ماذا يعني المنطق؟ يعني أنّ لبنان لا يمكن أن يعيش على الأوهام، مثل وهم النفط والغاز. لن يستطيع لبنان الحصول على مساعدات في غياب سلطة قادرة على إجراء الإصلاحات المطلوبة داخليا

ما يريد اللبنانيون سماعه هو متى تفرج المصارف عن ودائعهم ومتى تستعيد دورها الطبيعي في مجال توفير النقد الذي يسمح بتحويلات إلى الخارج. في غياب الدور الذي تلعبه المصارف، لا مستقبل للبنان ولا اقتصاد ريعيا أو منتجا لا فارق. هناك فقط تكريس لحال الانهيار التي بدأت تأخذ بعدا جديدا مع بداية "العهد القويّ" الذي ليس سوى "عهد حزب الله"، وذلك ابتداء من خريف العام 2016.

هذا لا يعني أن الأمور كانت تسير على نحو طبيعي قبل انتخاب ميشال عون رئيسا للجمهورية. كان التدهور تدريجيا، خصوصا منذ اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005 وما استتبع ذلك من اغتيالات وانقلابات، بما فيها غزوة بيروت والجبل. توجت الانقلابات في 2016 بوصول مرشّح "حزب الله" إلى موقع رئيس الجمهورية، وهو موقع مسيحي، ثم في 2020، حين أصبحت إيران، عبر "حزب الله"، تقرّر أيضا من هو رئيس مجلس الوزراء السنّي في لبنان.

إن دلت أحداث الشهور القليلة الماضية على شيء، خصوصا منذ اندلاع الثورة الشعبية في السابع عشر من تشرين الأوّل – أكتوبر على شيء، فهي تدلّ أوّلا على فراغ في السلطة على كلّ المستويات. لا يوجد في رأس هرم السلطة من هو قادر على التعاطي مع التعقيدات الداخلية أو الإقليمية. هناك على العكس من ذلك سعي إلى الهرب من الواقع. كان الإعلان عن بدء الحفر بحثا عن نفط وغاز آخر محاولة لجعل اللبنانيين ينسون أن بلدهم انهار وأنّهم أصبحوا فقراء وأنّ جني العمر، لدى الفقير والغني والمتوسّط الحال قد تبخّر.

ماذا ينفع النفط والغاز، هذا في حال وجد نفط وغاز، في حال لم يكن هناك بلد يمتلك اقتصادا قابلا للحياة بعيدا عن وهم الزراعة والصناعة. في النهاية، تبقى موارد الزراعة والصناعة محدودة لأسباب كثيرة، اللهمّ إلّا إذا استطاع لبنان تطوير نفسه ودخول عالم التكنولوجيا الذي برع فيه شبان لبنانيون يعيشون خارج لبنان. هل يمكن أن يعود هؤلاء إلى لبنان يوما وأن يجدوا مستقبلا في بلد صار فيه المواطن شحاذا ينتظر أن يوفّر له المصرف مئة أو مئتي دولار في الأسبوع، إن لم يكن أقلّ من ذلك، من المال الخاص به؟

آخر ما يريد اللبنانيون سماعه هو أخبار النفط والغاز. يريدون أموالهم، لكنّهم يريدون أيضا ماء وكهرباء ومن يجمع النفايات. يريدون طرقات وبنى تحتيّة لائقة ومن يوفّر مستقبلا لأولادهم ومن يوفّر أدوية فعّالة، وليس أدوية مستوردة من إيران، وأدوات طبّية حديثة كي يستمر عمل المستشفيات... وكي يكون الكلام عن سياحة طبّية في مكانه!

معيب أن يصل لبنان إلى هذا الدرك. معيب أكثر غياب أيّ نوع من المنطق مع ما يعنيه ذلك من استيعاب لواقع يتمثّل في أن لبنان يعاني من انهيار اقتصادي في إطار أزمة سياسية ذات وجوه متعدّدة.

في أساس الأزمة السياسية تحوّل البلد إلى مستعمرة إيرانية. كلّ ما في الأمر أنّ الوصاية الإيرانية خلفت في 2005 الوصاية الإيرانية – السورية التي أسّس لها السلاح غير الشرعي الفلسطيني ثمّ سلاح "حزب الله" المذهبي والميليشيوي.

لا مخرج للبنان من حال الانهيار في غياب الحدّ الأدنى من المنطق. ماذا يعني المنطق؟ يعني أنّ لبنان لا يمكن أن يعيش على الأوهام، مثل وهم النفط والغاز. لن يستطيع لبنان الحصول على مساعدات في غياب سلطة قادرة على إجراء الإصلاحات المطلوبة داخليا. كان كافيا مراقبة تصرّف حكومة حسّان دياب في مواجهة أزمة "كورونا" للتأكّد من ذلك. هناك حال من الفوضى على كلّ المستويات وكلام غير مسؤول تتحكّم به الرغبة في مراعاة إيران إلى أبعد حدود بعيدا عن مصلحة اللبنانيين.

الأهمّ من ذلك كلّه أن لا مساعدات عربية أو أوروبية أو أميركية للبنان، ولا تعاطي للمؤسسات الدولية معه بشكل جدّي من دون ترميم للعلاقات اللبنانية مع العرب أوّلا ومع الأميركيين ثانيا وأخيرا. ليست هناك دولة عربية قادرة على مساعدة لبنان ما دام البلد في ظلّ سلطة تعتبر نفسها جزءا لا يتجزّأ من محور الممانعة.

هذا ليس وقت البطولات المضحكة المبكية والرهانات الخاسرة مثل رهان ميشال عون على صدّام حسين في وجه حافظ الأسد في العامين 1989 و1990 عندما كان على رأس حكومة مؤقتة ذات مهمّة محصورة بانتخاب رئيس جديد للجمهورية.

إن الرهان على إيران والنظام السوري في السنة 2020، رهان خاسر سلفا. بدل خوض مثل هذا النوع من المغامرات، لا بدّ من وجود وعي لما هو على المحكّ. اللبنانيون يريدون أفعالا وليس أحلاما. الخطوة الأولى في هذا الاتجاه واضحة كلّ الوضوح. ثمّة حاجة إلى ترميم العلاقة مع العرب ومع الإدارة الأميركية.

هل لبنان عضو في جامعة الدول العربية أم هو لسان حال إيران في مجلس الجامعة؟ هل لبنان، بالنسبة إلى أميركا وأوروبا، منفتح على العالم أم أنّه مجرّد تابع لإيران التي تفعل فيه ما تشاء؟

قبل الإجابة عن مثل هذا النوع من الأسئلة، لن تفيد لبنان أي وعود من أيّ نوع. هذا ليس وقت مواضيع الإنشاء التي كنا نكتبها في الصفوف الابتدائية. هذا ليس وقت الأفكار الساذجة التي لا سوق لها في العالم ولا الشعارات الفارغة. لن تسمح أميركا باستخراج نقطة من النفط أو حفنة من الغاز، في يوم من الأيّام، في حال لم تعرف إلى جيب من سيذهب كلّ دولار يدخل لبنان؟

يفترض أن يكون في لبنان من يعرف البديهيات، بما في ذلك أن العقوبات الأميركية على إيران أدّت مفعولها وهي ضربت المصارف اللبنانية بسبب استخدام "حزب الله" لهذه المصارف. لبنان يعاني انهيارا اقتصاديا في إطار أزمة سياسية في غاية التعقيد لا أكثر...

فايروس الفساد السياسي أنهك البلد

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

اتفاق الرياض مهدد بالأجندة الخفية

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

قدم اتفاق الرياض أفضل وصفة لخروج اليمن من إحدى أخطر أزماته، في مواجهة استمرار محاولات بعض التوجهات الأيديولوجية اختطاف الساحة اليمنية وإدخالها في أجندات مشبوهة، لكن العون السعودي والإماراتي المشترك كان لها بالمرصاد وسارع إلى تبديد أسباب تفاقم الصراعات وتهدئة روع الشعب اليمني، الذي تحاصره الأزمات من كل جهة.

ثمة من يريد تأجيج أزمات جديدة في اليمن لإرضاء مطامع رعاته في الإقليم، وتقديم خدمات لهم تفاقم حالة الاستقطاب الحاد الذي تعرفه المنطقة ودعم أجندتهم السوداء في المواجهة المفتوحة مع عواصم الاعتدال والاستقرار، دون مراعاة لأوجاع أهله اليمنيين ومآسي ضعفائهم، لأنه يضع الأيديولوجيا الضيقة والمصلحة الحزبية في مقدمة أولوياته.

هناك جهات داخلية يمنية لديها حسابات مرتهنة لأجندة خارجية، تسعى لاستثمار الجرح اليمني النازف في إطار خصومتها مع عواصم التحالف العربي بقيادة الرياض وأبوظبي، التي تسعى لإنقاذ البلاد، في وقت يخوض فيه الجيش الوطني معركة بسط نفوذ الحكومة الشرعية وتحرير العاصمة صنعاء وكافة الأراضي الواقعة تحت سيطرة ميليشيا الحوثي الانقلابية المدعومة من إيران.

تظهر هذه المحاولات الجديدة في وقت يشعر فيه الحوثيون بالضيق والحرج، نتيجة عدد من المستجدات في موازين الصراع، حيث يشتد الخناق على إمداداتهم البحرية، خاصة منذ اعتراض شحنة أسلحة على متن سفينة إيرانية كانت في طريقها إليهم في نوفمبر الماضي.

وفي تلك الأثناء تزايدت أيضا شدة لهجة المجتمع الدولي والمنظمات الدولية في التنديد بممارسات جماعة الحوثي بعد تكرار شكوى المؤسسات العاملة في اليمن في المجال الإنساني والإغاثي من الانتهاك والضغوط التي تمارسها لإرباك عملها في مساعدة اليمنيين في الأراضي الخاضعة لسيطرتها.

كما أن الأوضاع الخانقة التي يعاني منها رعاتهم في طهران، وتراجع وزن جماعة الحوثي في حسابات الحرس الثوري منذ قتل أكبر رموزه قائد فيلق القدس قاسم سليماني، زادًا من المتاعب الاقتصادية والعسكرية واللوجستية لجماعة الحوثي، التي أصبحت أجندتها عرضة للتقلص والانكماش.

يحاول بعض المؤدلجين والقافزين فوق أوجاع اليمنيين دفع اتفاق الرياض إلى مصير مشابه لمصير سلفه اتفاق ستوكهولم، الذي عرقل الحوثيون تنفيذ بنوده، لكن تلك المحاولات دفعت الأطراف الدولية لتصعيد ضغوطها، والمطالبة بشرط تحقيق تقدم ملموس وحقيقي في اتفاق ستوكهولم قبل دعم المشاورات المقبلة للوصول إلى شكل من السلام المستدام غير المجزأ.

في محافظة المهرة، المحاذية للحدود مع سلطنة عُمان، هناك محاولة جديدة لفتح ثغرة في جبهة الأهداف الموحدة التي قام على أساسها التحالف العربي.

ويجري هناك افتعال مشاريع للفوضى والدمار بدعم ورعاية أطراف جديدة وجدت في الجرح اليمني فرصة لتحقيق مكاسب انتهازية ضيقة، حتى لو أدت إلى تعميق آلام الشعب اليمني وتدمير حقه بوطن آمن ومستقر ومعافى من التدخلات الأجنبية.

أجندات تركيا وقطر تحاول التسلل إلى جنوب اليمن لخلق صراعات تزيد أوجاع اليمنيين، وإيجاد مسرح لمهاجمة السعودية والإمارات

في تلك المحافظة تحاول أجندات تركيا وقطر التسلل إلى جنوب اليمن لخلق صراعات تزيد أوجاع اليمنيين، وإيجاد مسرح جديد لمهاجمة السعودية والإمارات بدعم من منصاتهما الإعلامية التي تشهد انحدارا أخلاقيا كبيرا في تزييف الحقائق.

في المقابل يواصل التحالف العربي دعمه الكامل لبسط نفوذ الحكومة الشرعية وسيطرتها على تلك المنطقة الرخوة عبر عملية خاطفة وناجحة، لمنع استغلالها من عصابات الجريمة المنظمة التي تستخدم وجوها محلية انتهازية لتغطية أجنداتها الإجرامية.

صرخة منهكة